من نجدة دما) لأنه يدل على قِلَّة القتل .

وأخراهما – تتصل بالمعنى العام لسياق الفخر ؛ حيث ترك حَسّان الفخر بآبائه ، وافتخر بمن ولدتْ نساؤه .

ومثلُ هذه الروايات لو صحَّت لكان معنى ذلك أن الجاهليّين توصلوا إلى إدراك العلاقة بين اللفظ والمعنى من ناحية ، ثم بين اللفظ والسياق الذي يَرد فيه من ناحية أخرى ، هذا فضلا عن إدراكهم لما يقع في القافية الشعرية من عيوب ؛ نتيجة لأنهم كانوا يغنّون الشعر فيزداد الإحساس بأي قلق في الموسيقى المسيطرة على البيت أو المركّزة في قافيته . وقد روي عن النابغة قوله :

أ مِنْ آلِ مَيَّةَ رائحٌ أو مُغْتَدي عَجْلانَ ذا زادٍ وغيرَ مُـزَوَّدِ

زَعَمَ البَوارِحُ أنَّ رِحْلَتَنا غدًا وَبِذاك خبَّرنا الغُرابُ الأسْوَدُ

فهاب الناس أن يقولوا له لحْنتَ أو أكفأتَ ، فعمدوا إلى قينة ، فقالوا غَنِّيه ، فلما غنتْه بالخفض والرفع فَطِنَ ، وقال :

وبِذاك تَنْعابُ الغرابِ الأسودِ [1]

وعلى فرض أن كلَّ هذه الروايات مصنوعة ومنحولة للجاهليين – فلا شكَّ في أن صناعَتَها تمَّت في فترة قريبة جدًّا من هذه الجاهلية ؛ مما يُتيح لصنّاعها فرصة الإلمام الدقيق بجوانب الحياة الثقافية والأدبية في هذه الفترة المبكّرة من حياة النقد العربي ، وهذا بدوره يدفعنا إلى قبول هذه الروايات

(١) أبو زيد محمد بن أبي الخطاب القرشي : جمهرة أشعار العرب . بيروت ، دار المسيرة ، ١٩٧٨ . ص ٢٨ .